الفصل الخامس

إبليس والنفس البشرية

لم يكن عرضنا السابق إلا تمهيدا لهذا الفصل الذي نوضح فيه ماهية إبليس و النفس البشرية.

أولاً: من هو إبليس الذي أخرج آدم من الجنة، وصور لقابيل المعصية فوز، وأعان أخوة يوسف على مخططهم للتخلص منه؟

معنى كلمة إبليس في اللغة العربية هو من الفعل بَلَسَ (بمعنى طُرِدَ)، عندها يكون معنى إبليس هو"المطرود من رحمة الله".

ولكن العديد من اللغويين يجمع على أن معنى الفعل هو "يئس" وبالتالي يكون المعنى "الذي يئس من رحمة الله"، ولفظة إبليس كذلك تأتي في معنى الضلال، الدهشة، السكوت، وكثيرة هي الأحاديث التي تدل على أن اسم إبليس مشتق من الإبلاس وقد ورد فى معنى الشيطان ايضا أن الشيطان مُشتق من " الشَطَنْ " و معناه في الأصل هو البعد، و يُطلق الشيطان على كل

بعيدٍ عن الخير، و على كل من طالَ مكثُهُ في الشَّر، كما يُطلق على كل عاتٍ متمردٍ خبيث، سواءً كان من الجن أو الإنس أو الدواب.

وهو من الجن اي مخلوق من النار "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ ۗ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ ۚ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا (٥٠) الكهف والشياطين ابناء ابليس و الإبلاس: الحزن المعترض من شدة البأس، يقال: أبلس، ومنه اشتق إبليس.

ما الفرق بين الشياطين والجن؟

هم من جنس واحد فجميعهم مخلوقين من النار ولكن الجن منهم مسلمون ومنهم كافرون قال تعالى على لسان الجن:

(وَ أَنَّا مِنَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا الْقَاسِطُونَ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُولَئِكَ تَحَرَّوْا رَشَدًا . وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا(١٤) الجن.

واما الشياطين فجميعهم كفار .. قال تعالى (وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَكِنَّ الشَّيْاطِينَ كَفَرُواْ (١٠٢) البقرة وكفرهم ناتج من اتباعهم لكفر ابهم ابليس .. واما مسلمي الجن كانوا اكثر حظآ ورشدآ منهم و اتبعوا محمدآ ﷺ وهو خلافهم

اي من البشر ولم يتكبروا مثل الشياطين الذين لايؤمنوا اصلاً بأفضلية البشر عليهم.

"قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا (١) يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا (٢)"الجن

فإبليس خُلق من نار كما يقول الله في القرآن الكريم كسائر الجن، وكان يعبد الله مع جملة الملائكة، إلا أنه كان يُخفي نزعته إلى التمرد والعصيان حتى أمره الله بالسجود لآدم مع الملائكة فأبى وأستكبر على أمر الله، "وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ" البقرة، الآية ٣٤، وعلل عصيانه بقوله: " أنا خير منه، خلقتني مِن نارٍ وخلقته من طين"، وطلب من الله أن يمهله إلى يوم الدين كي يغوي آدم ويغوي ذريته. فلُعن وطُرِد من السماء. وأصبح عدوًا لبني آدم إلى يوم البعث، يوم يحشر البشر والجن أجمعين. يقول الله تعالى في القرآن أن إبليس أقسم على غواية بني آدم أجمعين، وأنه لهم عدو مبين، وإبليس جني وهو الشيطان، وكان الجن يسكنون الأرض قبل أن يسكنها البشر، فأفسدوا فأهلكهم الله، إلا إبليس فإنه آمن، فجعله الله في جملة الملائكة في الملأ الأَعْلَى لم يكن إبليس من

الملائكة لأنه ليس ملك، و إنما كان من الجن العابدين لله في الأرض فكرّمه الله سبحانه برفعه للملأ الأعلى مع الملائكة؛ لأن إبليس مخلوق من نار، خلافاً للملائكة الذين خلقهم الله من نور. وهو أصل البقية الباقية من الجن كما أن آدم أصل البشر.

فلقد كان إبليس من الجن العابدين لله في الأرض، ومن عبادتهِ لله كرمهُ برفعهِ في الملأ الأعلى، والدليل على ذلك كما ورد في القرآن: (وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ كَانَ مِنْ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) ٥٠الكهف.

لذلك علل العصيان في الآية لأنه من الجن بينما الملائكة لا يعصون ربهم أبدا، وبالتالي عصى الله بامتناعهِ عن السجود لآدم لأنه من الجن.

فلمَّا طَرَدهُ الله من رحمته طلب أن يُنْظر إلى يوم القيامة وتوعد آدم وذريته " قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ (٣٤) وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ (٣٥) قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ (٣٦) قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ (٣٧) إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ (٣٨) قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ (٣٩) إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ (٤٠) قَالَ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ

(٤١) إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ (٤٢) وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) الحجر.

هذا هو أبليس كما ذكره القرأن الكريم، ولكن لم يكن له سلطان الفعل والتنفيذ على آدم وذريته وسيتضح ذلك من العرض التالي:

ثانيا :ـ ماهية النفس البشرية:

وسوف نوضح فى السطور التالية ماهية النفس البشرية، ومدى تأثير إبليس عليها، وقد أوضحنا سابقاً كيف كان لإبليس سبل أي طرق، ولا تكون السبل والطرق إلا بوجود منفذ لها وهنا تتضح ماهية النفس البشرية

ما هي النفس البشرية في القرأن الكريم ؟

" وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا(٨)قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا(٩)وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا(١٠) الشمس.

إذا النفس مخلوق بها جعل الله ميكانيكية الحياة في الجسد البشرى وهى نفس واحدة لها خصائص وصفات تحملها في بوتقة واحدة ولكن بقانون وحساب وتمييز.

وتصنف النفس طبقا لعملها بهذا القانون والحساب والتمييز فنجد النفس المطمئنة ،والنفس اللومة ،والنفس الأمارة بالسوء وذكر القرأن هذا التصنيف للنفس "وأولها النفس المطمئنة في قوله تعالى:

﴿يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّة(٢٧) ارْجِعِي إِلَى رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٨) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٩)﴾القيامة

ثم يذكر القرأن الصنف الثاني وهى النفس اللوامة

" لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢)"القيامة"

ثم يأتي ذكر الصنف الثالث وهى النفس الآمارة بالسوء

﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ (٥٣)﴾يوسف

وبهذا العرض التوضيحي لأنواع النفس البشرية نكون قد علمنا أن النفس البشرية هي بالفعل ثلاث أنواع نفس مطمئنة، ونفس لوامة، ونفس أمارة بالسوء، وسيأتي الآن بيان موقف إبليس من الإنسان كما وضحه القران الكريم.

وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي ۖ فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم ۖ مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ ۖ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٢٢)إبراهيم

سيتبرأ إبليس ويقول بأعلى صوته: فلا تلوموني ولوموا أنفسكم، لولا إنكم في أنفسكم تريدون الكفر والمعصية وتميلون إليهما، ما كنت قادرًا على إغوائكم فلا تلقوا باللوم علي فليس لي سلطان عليكم إني كفرت بما اشركتمون، ولكن يجب أن نعلم جيدا إن للشيطان جنودًا وأعوان.. هم شياطين الإنس والجن وأولئك هم الذين اتبعوه و اتخذوا منهجه، وأصبح لهم قرينا أي ملازما يدفعه دائما إلى الشر الذي تحدثه به نفسه الأمارة بالسوء فإبليس قرين السوء، فدائماً قرناء السوء يساعد بعضهم بعض على اقتراف الإثم والمعصية، ولكن لن يفلح الشيطان إلا مع من كانت نفسه أمارة بالسوء، فهو لن يفلح مع المؤمنين فقد حاول من قبل مع صفوة خلق الله من الرسل قبل أن يبلغوا برسالة ربهم فها هنا نجد ذكر القران الكريم لموقف موسى عليه السلام عندما وكز الرجل.

"وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِ وَهَٰذَا مِنْ عَدُوِّهِ ۖ فَاسْتَغَاثَهُ الَّذِي مِن شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ ۖ قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ ۖ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ (١٥) القصص

وهذا دليل من القران بأن الأنبياء رغم أنهم معصومون ...هذا لا يعني أنهم ممنعون من جهاد النفس، فلهم نفس بشرية فيها نوازع وشهوات،يتغلب عليها بجهاد النفس، وإذا لم يكن لنفوس الأنبياء ما لأي نفس بشرية من صفات ورغبات ومآرب؛ لكانوا ملائكة؛ ولكنهم من ذوي النفوس الخيرة المطمئنة؛ فقد جعلهم الله قدوة للمؤمنين في كفاح الشيطان، وكفاح النفس؛ والتغلب عليهما فهؤلاء هم أولي العزم؛ العزم في طاعة الله ومحاربة الشيطان، فموسى عليه السلام عندما ضرب الرجل الفرعوني، ووكزه كان دفعا عن الذي من شيعته وهو من بني إسرائيل، ولكن موسى لم يقصد قتله ولكن دفعه الشيطان لذلك وهمس له بشيطانية اقتله اقتله يا موسى؛ فوسائل الشيطان في الإغواء كثيرة؛ فمنها النزغ ومنها الهمز، ومنها الوسوسة، والنزغ في اللغة هو النخس، فيدخل الشيطان خاطرا مهيجا إلى نفسك؛ فيثير فيها

الغضب .. ويجعلك تتصرف تصرفا أحمق لا يتفق مع العقل ولا مع الدين، لهذا كان غضب موسى من الرجل الفرعوني هو سبيل الشيطان للدخول إلى نفسه حتى تهيج فيه الغضب بفعل الشيطان، ووكز الرجل، ووقتها كان موسى لم يكلف برسالة ربه بعد .. ولكن كان فيه من التقوى والإيمان؛ الذي تجعله يتنبه في الحال أن ما فعله من عمل الشيطان.. واتجه إلى ربه طالباً المغفرة والتوبة من الله؛ فهذا عهد النفس اللوامة مع الله لأنها درجة من درجات النفس المطمئنة تعود سريعا طالبة العفو والمغفرة من ربها، لهذا حذرنا الله تعالى من نزغ الشيطان وأمر الإنسان أن يتحصن من هذا النزغ بالاستعاذة من الشيطان في قوله تعالى "وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ۖ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) فصلت.